بلقيس ملكة سبأ

(الملكة العاقلة)

بلقيس ملكة سبأ

(الملكة العاقلة)

المُلك والذكاء:

هي ملكة من ملكات سبأ، وكانت الأرض تسمىٰ أرض صارب علىٰ بعد 3 أميال من صنعاء، وُلِّيت المُلك بعد موت أبيها الهدهاد بن حارث بن يعرب بن قحطان؛ وذلك في القرن 17 قبل البعثة.

وقد ساست قومها سياسة حكيمة، وأشاد القرآن بها وقصّ علينا طرفًا منها؛ لقد تميزت بالعقل الرشيد والذكاء النادر، فخضع الناس لحكمها وأسلموا لها قيادتهم.

ولقد قرأ النبي ﷺ علىٰ الناس في مكة سورة النمل، وقصَّ عليهم في هذة السورة قصة ملكة سبأ التي قادت قومها إلىٰ الإيمان والفلاح بحكمتها وذكائها؛ وقد أخبرنا الله تعالىٰ أنها ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:23]، أي: كل ما يحتاج إليه الملوك لتدبير الملك وأنّ... **(لها عرش عظيم)** والعرش العظيم كما وصفه ابن كثير عبارة عن سرير عظيم تجلس عليه وطوله 80 ذراعًا، وعرضه 40 ذراعًا، وكان من ذهب مفصص بالياقوت الزبرجد واللؤلؤ، وكان لها من نساء الخدمة 600 امرأة[1].

كان عرشها في قصر عظيم مشيد رفيع البناء له 360 طاقة من مشرقه و من مغربه، وُضِع بناؤه علىٰ إن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها فيسجدون لها صباح مساء.

كل ما يشين هذه المرأة هو أنها تسجد وقومها للشمس من دون الله، فلما جاء الهدهد بهذه المعلومات إلىٰ نبي الله سليمان عليه السلام أرسل معه رسالة موجزة في عباراتها إلىٰ هؤلاء القوم وملكتهم لكنها قويه في معناها، ونص هذه الرساله من القرآن: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:30،31].

وكانت بلقيس قارئة وكاتبة عربية..

---

(1) انظر: تفسير ابن كثير 6/ 189.

فلما رأت الخاتم علمت أن الذي أرسل إليها الكتاب هو أقوىٰ وأعظم مُلكًا منها، وقد وصفت الكتاب أو الرسالة بأنه كريم؛ لأنه صدر **(بسم الله الرحمن الرحيم)**، ربما هز كيانها ذكر اسم الله عز وجل، وقد ذكر العلماء أنه لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام فاستعظمت الكتاب، واستشفت أن كاتبه يتكلم عن منطق القوه، وأنه حكيم؛ لأنه جمع كل ما أراده في جملتين:

الأولى: تنهاهم عن التعالي عليه.

الثانية: تأمرهم بالإتيان إليه مسلمين.

فالنهي قد حوىٰ الكثير والكثير من ألوان التهديد، والأمر حوىٰ الكثير والكثير من أنواع الهداية.

وفي هذا تبدو سمة الملكة الأريبة، فواضح منذ اللحظه الأولىٰ أنها أخذت بهذا الكتاب الذي ألقي إليها؛ حيث لا تعلم والذي يبدو فيه الحزم والاستعلاء، وقد نقلت هذا الأثر في نفوس الملأ من قومها وهي تصف الكتاب بأنه كريم، وواضح أنها لا تريد المقاومة والخصومة، ولكنها لا تقول هذا صراحة إنما تمهد له بذلك الوصف.

المشورة:

كان لدىٰ بلقيس مجلس شورىٰ مكون من 312 رجل، كل رجل منهم علىٰ عشرة آلاف رجل كما ذكر ابن كثير، وقد طلبت منهم المشورة في هذا الحدث الجلل، فقد اعتادت علىٰ ألا تأخذ قرارًا حتىٰ تستشيرهم، فلما قرأت عليهم الكتاب هاجوا وماجوا، وأكثرو من اللغط، فهدأت الملكة من روعهم بحكمتها وهدوئها، وطلبت منهم أن يفتوها في هذا الأمر، ولكنهم لم يكونوا أهلاً للمشورة، واغتروا بقوتهم وبأسهم، وكانوا يميلون إلىٰ الحرب أكثر من السلام، وأرجعوا الأمر إليها في النهايه دون أن يبدوا قرارًا واضحًا.

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل:33].

المرأة وسلاح الحيلة:

هنا ظهرت شخصية الملكة وهي امرأة تكره الحرب والتدمير وتفضل سلاح الحيلة.

وكان في رأيها الكثير من الحكمة إذ قررت استعمال الدبلوماسية، وذلك بإرسال هدية تلين القلب وتعلق الود، وقد تفلح في دفع القتال وهي تجربة، فإن قبلها سليمان

فهو إذا ملك من ملوك الدنيا يسهل أمره وإن لم يقبلها فهو لا يأبه بالمال وعرض الدنيا، فتكون بذلك قد عرفت حقيقه أمره.

لقد رفقت بالشعب عندما اتخذت قرار السلم والصلح، ولما ذهب الرسل بالهدايا إلىٰ سليمان عليه السلام أبهرهم ما رأوا من الملك والقوة التي تفوق ملكهم، فنقلوا ذلك إليها بالطبع....وكما أرجعوا الهدية التي رفضها النبي سليمان عليه السلام.

وأوحىٰ إليهم أنه قادم بجنود لا قبل لهم بها ولا طاقة، والملكة تعرف ذلك حق المعرفة، وتوقن أنها ستخوض حربًا غيرمتكافئة فضلا عن أنها مالت بقلبها نحو الإيمان، وأدركت أنها لا بد أن تستجيب لداعي الإسلام وتدخل في دينه.

قصة العرش:

علم سليمان بعزمها عن طريق الوحي والإلهام فاستشار الملأ في الإتيان بعرشها، ويبدو أنه اتخذ ذلك وسيلة لعرض مظاهر القوة الخارقة التي تؤيده لتؤثر في قلب الملكة وتقودها إلىٰ الإيمان بالله والإذعان لدعوته.

ويعد الإتيان بالعرش شيئًا معجزًا للأسباب الآتية:

1- المسافه بين مكان بلقيس (**في اليمن**) ومكان سليمان في بيت المقدس تستغرق وقتا طويلا في نقل العرش، في حين أتىٰ به سليمان في طرفة عين.

2- لأن الملائكة وضعت العرش قبل أن تغادر بلدها تحت حراسة مشددة حتىٰ تحافظ عليه، فلما وصلت الملكة إلىٰ سليمان قال: ﴿نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل:41]، ولعل هذا اختبار منه لذكائها وتعرفها عندما تفاجأ بالعرش وقد سبقها إليه.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ﴾ [النمل:42] فكانت مفاجأة ضخمه لا تخطر لملكة علىٰ بال، ولكن العرش عرش رغم التنكير والتغيير، ترىٰ تجيب بالنفي أم بالإثبات؟ فردت ردًا يدل علىٰ الفراسة وسرعة البديهة ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ﴾ [النمل:42]، إنه جواب ذكي لا ينفي ولا يثبت.

ثم شرح الله صدرها للإسلام فأسلمت.. ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [النمل:43]، وكان سليمان قد أعد للملكة مفاجأة أخرىٰ حيث دعاها إلىٰ دخول القصر وكان القصر مُمَرَّد (**أي أملس**) ومصنوع من القوارير (**أي الزجاج**)،

وتحت الزجاج الماء يجري وفوقه سرير الملك.....

﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ [النمل:44] ووقفت الملكة مشدوهة أمام هذة العجائب التي تعجز البشر، فرجعت إلىٰ الله وناجته معترفة بظلمها لنفسها فيما سلف من عبادةِ غيره، وأسلمت مع سليمان؛ لا لسليمان بل (**لله رب العالمين**).

إن الله تعالىٰ أشاد بما صنعته هذة الملكة، ولا يوجد في هذه القصة ما يشير إلىٰ خطأ القوم في توليتهم امرأة عليهم؛ وهذا لا ينافي قوامة الرجل في بيته.

وقد ذكرت كتب التاريخ أن عمر بن الخطاب ﷺ قد ولّىٰ الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف قضاء الحسبة في سوق يشتمل علىٰ الرجال والنساء.

وماذا عن الحديث الذي رواه البخاري (**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**)[1]، فهذا الحديث إنما قيل في ظروف خاصة بأهل فارس؛ فقد تناهىٰ إلىٰ علم النبي ﷺ أن امرأة كانت تملكهم فتفشىٰ الفساد في الرعية وتوالت عليهم الهزائم من قِبَل الروم.

قال النبي ﷺ ما قال نعيًا علىٰ هؤلاء الذين لم يولوا منهم قائدًا ماهرًا ينقذ البلاد من هذه الهزائم المتوالية، وركنوا إلىٰ امرأة ليس لها من الأمر شيء، وليس لديها خبرة بتدبير شئون الملك والسياسة..... فأين هي بلقيس ملكة سبأ؟

ولو كانت مثلها لنجت هي وقومها من ضوائق الدهر...فقد قال الشيخ الغزالي في ذلك: «**ولو أن الأمر في فارس شورىٰ وكانت المرأة الحاكمة تشبه جولدامائير اليهودية التي حكمت إسرائيل واستبقت دفة الشئون العسكرية في أيدي قادتها لكان هناك تعليق آخر**»[2].

إن القصة ليست قصة أنوثة وذكورة؛ إنها قصة أخلاق ومواهب.

ملامح شخصية بلقيس:

1 – تقدر الآخرين وتعترف بقدراتهم رغم عظم شأنها وقوة ملكها؛ فإن الكبر وتسفيه الآخر هما أعدىٰ أعداء الحكمة.

2 – عدم الاعتداد بالرأي والاستبداد بالقرار، فالشورىٰ مصدر قوة الرأي وصوابه،

---

(1) الحديث رواه البخاري في صحيحه (4163)، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر، من حديث أبي بكرة ﷺ.

(2) انظر: كتاب السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث 1/ 36.

وكان هذا دأب بلقيس... ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:32] وما خاب من استشار وما ندم من استخار.

3 – الشعور بالمسئولية تجاه الرعية، وقد بدا ذلك عندما قالت: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ [النمل:34] والنبي ﷺ يقول... **(والمرأة في بيتها راعية ومسئولة عن رعيتها)** فمن العقل أن تؤثر مصلحة الصغار وتتعالىٰ علىٰ سفاسف الأمور.

4–عدم الاستجابه للرأي المندفع الذي يحرض علىٰ الغضب أحيانًا، فقد قال لها قومها: **(نحن أولو قوة وأولو بأس شديد...)**[1] ولكنها لم تتأثر بذلك... وكثيرًا ما نرىٰ امرأة تستجيب لمن يوقع بينها وبين الآخرين.

5–اللين من خصائص الشخصية القوية، والهدية وسيلة بارعة في كسب الأشخاص، فحبذا لو استخدمتها المرأة في كسب زوجها وأهله، فالغلظة والشدة لا يكونان من الحكمة في كثير من الأحيان.

6– اللباقة في الرد وعدم الاندفاع **(قالت كأنه هو)** فكثيرًا ما تحدث مشكلات كبيرة للمرأه بسبب أسلوب حديثها أو كلماتها اللاذعة المتسرعة.

7– من العقل أنها قالت: **(أسلمت مع سليمان)** فقد فهمت منذ اللحظة الأولىٰ لإسلامها أن الإسلام يجعل المرء لا يُذل إلا لله.

امرأة بهذه العقليه لم تتكبر علىٰ سليمان؛ لأنها أذعنت لرب سليمان، وأيقنت أن الملك كله لله، وليس لأحد من البشر منه نصيب إلا بإذن الله.

وإذا أيقنت المرأة التي تطيع زوجها أنها تطيع ربها في الأصل فتصبح حياتهما أكثر سعادة

خواطر وعبر:

1) ذكر امرأة عظيمة مثل بلقيس في القرآن المكىٰ؛ وهىٰ في أوج ملكها وقمة حكمتها؛ لهو دلالة علىٰ صدع القرآن – في مهد الدعوة الإسلامية بقيمة المرأة وعظمتها في عصر كانت تعد المرأة فيه أقل قيمة من الحيوان؛ بل والجماد.

2) في ذكر خبر بلقيس في القرآن إشارة إلىٰ جواز تولىٰ المرأة المناصب العليا في الحكم؛ بشرط استحقاقها لذلك؛ وكفاءتها التي قد تفوق كفاءة الرجال

3) العقل هبة الله تعالىٰ، والحكمة رزقه الوافر عندما تهدىٰ إلىٰ الإيمان.

---

(1) البخاري في صحيحه (2278)، باب العبد راع في مال سيده، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.